في أشراط السّاعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»"[1].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[2].

في الأدعية والأذكار

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ»[3].

الآية ١٨٩

التّوقيت بالشّهر القمريّ وحقيقة البرّ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٨٩): قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ هذا مما سأل عنه اليهود واعترضوا به على النبي ﷺ، فقال معاذ: يا رسول الله، إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة، فما بال الهلال يبدو دقيقًا ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، ثم ينتقص حتى يعود كما كان؟ فأنزل الله هذه الآية. وقيل: إن سبب نزولها سؤال قومٍ من المسلمين النبي ﷺ عن الهلال، وما سبب محاقه - استتار القمر ليلتين فلا يُرى غدوة ولا عشية - وكماله ومخالفته لحال الشمس، قاله ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم[4].

وقال البراء ﷺ: "نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجّوا فجروا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها. فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قبل بابه، فكأنّه عُيّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾"[5].

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٤٩٦، كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة.

(٢) رواه أحمد في مسنده، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ١٣٢٩٨، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، الحديث حسن.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٩٨٣، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، باب: وأمّا حديث رافع بن خديج، الحديث إسناده صحيح.

(٤) ذكره القرطبيّ في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآية: ١٨٩، ج٢، ص٣٤١.

(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن البراء، حديث رقم: ١٨٠٣، كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

وقال المفسّرون: كان النّاس في الجاهليّة وفي أوّل الإسلام، إذا أحرم الرّجل منهم بالحجّ أو العمرة، لم يدخل حائطًا (بستانًا) ولا بيتًا ولا دارًا من بابه، فإن كان من أهل المدن نقّب نقبًا في ظهر بيته، منه يدخل ومنه يخرج، أو يتّخذ سلّمًا فيصعد فيه، وإن كان من أهل الوبر، خرج من خلف الخيمة والفسطاط، ولا يدخل من الباب، حتّى يحلّ من إحرامه، ويرون ذلك ذمًّا، إلّا أن يكون من الحمس وهم: قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وخثعم، وبنو عامر بن صعصعة، وبنو النّضير بن معاوية، سمّوا حمسًا لشدّتهم في دينهم.

المناسبة: هذه الآية تكملة لأحكام الصّيام، لأنّ الصّوم والإفطار مقرونان برؤية الهلال، كما جاء في الحديث الصّحيح: ﴿صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ﴾[1].

المعنى العام

قال الحقّ ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ عن حكمة اختلاف الأهلّة بالزّيادة والنّقص، والأهلّة- جمعُ هلال- مواقيت للنّاس؛ لأشغالهم ومحاسباتهم. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمّد ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ يوقّتون بها ديونهم، ويعرفون بها أوقات زرعهم، وعِدَدَ نسائهم وصيامهم، ﴿وَالْحَجِّ﴾ وهي أيضًا مواقيت للحجّ، يعرفون بذلك وقت دخوله وخروجه، فيعرفون الأداء من القضاء، فلو كانت على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك. أجابهم الحقّ تعالى بغير ما ينتظرون إشارة إلى أنّ السّؤال عن سرّ الاختلاف، ليس فيه منفعة شرعيّة، وإنّما ينبغي الاهتمام بما فيه منفعة دينيّة.

روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره [أي من السقف]، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن البراء قال: كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم[2] لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية. وقال الحسن البصري: كان أقوام من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرًا، وخرج من بيته يريد سفره الذي خرج له، ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ويدع سفره، لم يدخل البيت من بابه، ولكن يتسوّره من قبل ظهره فقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ إلى آخر الآية، إبطالًا لتلك العادة وبيانًا أن البر الحقيقي في التقوى واتباع أمر الله. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي افعلوا ما أمركم به، واتركوا ما نهاكم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غدًا إذا وقفتم بين يديه، فيجازيكم على التّمام والكمال.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٩٠٩، كتاب: الصوم، باب: قول النّبيّ ﷺ: "إذا رأيتم الهلال فصوموا".
(٢) ورواه مسلم وفيه: كانوا إذا رجعوا من حجهم لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها، فجاء رجل منهم فدخل من بابه فلاموه، فنزلت.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١. أثبتت جمهور علماء المسلمين على أنّ المسلمين أمّة واحدة فإذا ثبتت رؤية الهلال عند المغرب، وجب الصّيام على جميع المسلمين ولو في أقصى المشرق. ولا اعتبار لأسماء الدّول والحدود، فكما يحجّ المسلمون جميعًا كذلك يصومون جميعًا.

٢. الواجب أن يسأل المرء عمّا ينفعه ويترك السّؤال عمّا لا يعنيه.

٣. فائدة الشّهور القمريّة عظيمة إذ بها تعرف كثير من العبادات.

٤. الأمر بالتّقوى المفضية إلى فلاح العبد ونجاته في الدّارين.

٥. الاستئذان من صاحب الشّأن، هو من معاني أن تأتي البيوت من أبوابها.

٦. تتكلّم الآية على الأدب الزّماني والأدب المكاني. فمراعاة الأدب الزّماني يقتضي أن لا تستعجل ولا تتأخّر، فمن استعجل الشّيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، ومن تأخّر فاته زمانه.

في الأمر والنّهي

من الكبائر: تَرْكُ حجّ الفريضة أو تأخيره حتّى يموت أو لا يعود مستطيعًا:

الحجّ فريضة على كلّ مسلم مكلّف مستطيع من الرّجال والنّساء مرّة واحدة في العمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١] وقوله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٢].

شرطُ الحجّ القُدرةُ عليه بالمال والصِّحّة وتوفُّر أسباب السّفر، كتأشيرةِ السّفر وأمن الطّريق.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «مَنْ مَلَكَ زادًا وَراحِلَةً تُبَلِّغُهُ إلى بَيْتِ اللهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلا عَلَيْهِ أَنْ يَموتَ يَهودِيًّا، أَوْ نَصْرانِيًّا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَقولُ في كِتابِهِ: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً...﴾»[٣][٤]. وكان عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ رضي الله عنه يَقولُ: **"مَنْ أَطاقَ الحَجَّ فَلَمْ يَحُجَّ، فَسَواءٌ عَلَيْهِ يَهودِيًّا ماتَ أَوْ نَصْرانِيًّا"**[٥].

وقد أجمعت الأمّة على فَرضِيَةِ الحجّ، وأنّه أحدُ أركانِ الإسلام، وأنّه من المعلوم من الدّين بالضّرورة، وأنّ مُنْكِره يكفُر.

وقد اختلف العلماء في وجوب الحجّ هل هو على الفور، أو على التّراخي؟ فذهب الجمهور (الأحناف والمالكيّة والحنابلة) إلى أنّ الحجّ يجبُ على الفور (أي فور الاستطاعة) فإن استطاع أن يحجّ حجّة الإسلام في سنة من السّنين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧. (٢) سورة الحجّ، الآية: ٢٧. (٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٤) رواه التّرمذيّ في سننه، عن علي، حديث رقم: ٨١٢، كتاب: أبواب الحجّ، باب: ما جاء في التّغليظ في ترك الحجّ، الحديث غريب.

(٥) رواه ابن كثير في مسند الفاروق، عن عبد الرحمن، حديث رقم: ٢٩٤، كتاب: الحجّ، باب: أثر عن عمر في وجوب الحجّ، الحديث إسناده صحيح.

فأخّرها فهو آثِمٌ، وذهب الشّافعيّة إلى أنّه يجب على التّراخي، ولكن إذا استطاع أن يحجّ في سنة من سِنيّ حياتِه وأخّر ذلك ثمّ لم يستطع الحجّ لأيّ سبب كان، فهو آثم.

وروي عن الحسن البصريّ، قَالَ: "قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ رِجَالًا إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى كُلِّ رَجُلٍ ذِي جَدَةٍ لَمْ يَحُجَّ، فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ، مَا هُمْ مُسْلِمِينَ، مَا هُمْ مُسْلِمِينَ»" (١)

والحجّ سبب من أسباب سعة الرّزق ونفي الفقر، كما قال ﷺ: ﴿تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ﴾(٢)

وفي السُّنّة النبويّة أحاديث كثيرة؛ منها ما رواه أبو هريرة ﷺ قالَ: "خَطَبَنا رَسولُ اللهِ ﷺ، فَقالَ: ﴿أَيُّها النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا﴾، فَقالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عامٍ يا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قالَها ثَلاثًا، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ثمّ قَالَ: ﴿ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ﴾(٣).

في الأخلاق والآداب

العمل بالآية:

- ليس البرّ مراعاة الأمور الظّاهرة، بل البرّ تصفية السّرائر وتنقية الضّمائر.
- لكلّ شيء أدب ومدخل صحيح، فلتكن القاعدة في الحياة: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.
- ذكر بعض الفقهاء كراهة تغيير الأناشيد والأشعار التي كُتبت لغير الله تعالى- لا لمخاطبة الله تعالى أو مناجاته بها- من باب أنّها أُهلّت لغير الله.

من الأخلاق المُحمَّديّة: الأناة وعدم العجلة

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ المراد الأناة وعدم العجلة.

قَالَ حَاتِمٌ: "كَانَ يُقَالُ الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ، إِطْعَامُ الطَّعَامِ إِذَا حَضَرَ الضَّيْفُ وَتَجْهِيزُ الْمَيِّتِ إِذَا مَاتَ، وَتَزْوِيجُ الْبِكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ، وَقَضَاءُ الدَّيْنِ إِذَا وَجَبَ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا أَذْنَبَ"(٤)

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿الْأَنَاةُ مِنَ اللهِ وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾(٥).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ﴾(٦)، وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهُ: ﴿يَا

(١) رواه أبو بكر الخلال في السنة، عن الحسن، حديث رقم: ١٥٧١، باب: مناكحة المرجئة.
(٢) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٣٦٩٣، كتاب: الحجّ، باب: ذكر نفي الحجّ والعمرة الذنوب والفقر عن المسلم.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٣٣٧، كتاب: الحجّ، باب: فرض الحج مرة في العمر.
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية، عن حاتم، كتاب: ذكر طوائف من جماهير النسّاك والعباد، باب: حاتم الأصمّ ومنهم المؤثر للأدوم والأعمّ.
(٥) رواه التّرمذيّ في سننه، عن سهل بن سعد، حديث رقم: ٢٠١٢، كتاب: أبواب البرّ والصلة، باب: ما جاء في التأني والعجلة، الحديث حسن غريب.
(٦) رواه الحاكم في المستدرك، عن مصعب بن سعد عن أبيه، حديث رقم: ٢١٣، كتاب: الإيمان، باب: وأمّا حديث سمرة بن جندب، الحديث صحيح.

عَلِيٍّ، ثَلاثٌ لا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلاة إِذَا آنَتْ، وَالجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا»[1]. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»[2].

إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق في الأمر كلّه:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[3].

القاعدة: كلّ ما يمكن أن يتوصّل إليه عن طريق الرّفق، فلا يُختار سواه. فالرّفق مطلوب ومحبوب في كلّ الأمور، لأنّ الله يحبّه ويجزي عليه، وبالرّفق قد تتوصّل إلى ما لا تستطيع التّوصّل إليه بالعنف والشّدة، وهذا كما يكون في تربية الأولاد والتّعامل مع الزّوجات كذلك يكون أيضًا في البيع والشّراء، واستخراج الحقوق من النّاس، والتعامل مع العاملات.

في السّيرة والشّمائل

الاستئذان من صاحب الشّأن، هو من معاني ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

قصّة المقداد بن الأسود:

عَنِ الْمِقْدَادِ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا»، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، مَا صَنَعْتَ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: «اللهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْنُزِ أَيُّهَا

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن علي، حديث رقم: ١٧٢، كتاب: أبواب الصّلاة، باب: ما جاء في الوقت الأول من الفضل، الحديث غريب.
(٢) رواه البيهقيّ في السُّنن الكبرى، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٤٧٤٣، كتاب: جماع أبواب صلاة التطوّع، وقيام شهر رمضان، باب: القصد في العبادة، والجهد في المداومة، الحديث مرسل.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ٢٥٩٣، كتاب: البرّ والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

أَسْمَنُ، فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِآلِ سيّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثمّ نَاوَلَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثمّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النّبيّ ﷺ قَدْ رَوِيَ وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النّبيّ ﷺ: «إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النّبيّ ﷺ: «مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ"[1].

فالخطأ الذي اقترفه المقداد، هو عدم استئذان النّبيّ ﷺ بشرب لبنه، وهذا من باب: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، حيث كان ينبغي عليه أن يستأذن أوّلاً.

قصّة وفد الإحساء:

بَيْنَمَا النّبيّ ﷺ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: سَيَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَاهُنَا رَكْبٌ هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، فَقَامَ عُمَرُ فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُمْ فَلَقِيَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَاكِبًا، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ، قَالَ: فَمَا أَقْدَمَكُمْ هَذِهِ الْبِلَادَ أَتِجَارَةٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَمَا إِنَّ النّبيّ ﷺ قَدْ ذَكَرَكُمْ آنِفًا فَقَالَ خَيْرًا، ثمّ مَشَى مَعَهُمْ حَتَّى أَتَوَا النّبيّ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ لِلْقَوْمِ: هَذَا صَاحِبُكُمُ الَّذِي تُرِيدُونَهُ، فَرَمَى الْقَوْمُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ رَكَائِبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ مَشَى إِلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هَرْوَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَعَى حَتَّى أَتَوَا النّبيّ ﷺ، فَأَخَذُوا بِيَدِهِ فَقَبَّلُوهَا.

أمّا الأشجّ تأخّر عن أصحابه فبقي في رحالهم، وعقل راحلته ورواحل الوفد، وغيّر ثيابه، وتهيّأ فاغتسل وتطيب للقاء رسول الله ﷺ، ثمّ جاء إليه، فأكرمه النّبيّ ﷺ وقرّبه وقال له ﷺ: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا، أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ ﷺ: بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ»[2].

وكما سبق أنّ هذه الأخلاق منها ما هو فطري، ومنها ما يكون بالاكتساب والترويض، وكما في الحديث الآخر: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ»[3]

وإذا كان الله ﷻ يحبّ الحلم والأناة فقد يفهم بمفهوم المخالفة أنّ خلاف ذلك لا يحبّه الله ﷻ، يعني: العجلة في الأمور، والتّسرع، وكذلك أيضًا الطيش وسرعة الغضب والانفعال وما شابه هذا.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن المقداد، حديث رقم: ٢٠٥٥، كتاب: الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره.
(٢) رواه أبي داود في سننه، عن زارع، حديث رقم: ٥٢٢٥، كتاب: أبواب السلام، باب: في قبلة الرجل.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، عن أبي الدّرداء، حديث رقم: ٢٦٦٣، كتاب: الألف، باب: اسمه إبراهيم.

في السّلوك

الإشارة: إذا ظهر هلال السّعادة في أفق الإرادة، وهبّت ريح الهداية من ناحية سابق العناية، دخل وقت جِ القلوب إلى حضرة علّام الغيوب، فهلال الهداية للسّائرين، وهم أرباب الأحوال أهل التّلوين، يزداد نوره بزيادة اليقين، وينقص بنقصانه، على حسب ضعف حاله وقوّته، حتّى يتحقّق الوصال، ويرزق صفة الكمال، وأنشدوا:

كُلَّ يَوْمٍ تتلوّنُ غَيْرُ هَذا بكَ أجْمَلُ

فصاحب التّلوين بين الزّيادة والنّقصان، إلى أن تطلع عليه شمس العرفان، فإذا طلعت شمس العرفان فليس بعدها زيادة ولا نقصان، وأنشدوا:

طَلَعَت شَمْسُ مَنْ أُحِبُّ بِلَيْلٍ واسْتَنارَتْ فَما تَلاها غُروبُ
إنَّ شَمْسَ النَّهارِ تَغْرُبُ باللَّيْلِ وشَمْسُ القُلوبِ لَيْسَتْ تَغيبُ

بخلاف صاحب التّمكين فإنّه أبدًا في ضياء معرفته، متمكّن في برج سعادته، لا يلحق شمسه كسوف ولا حجاب، ولا يستر نورها ظلمة ولا سحاب، فلو طلب الحجاب لم يجب.

قال بعض العارفين: "لو كلّفت أن أرى غيره لم أستطع، فإنّه لا غير معه حتّى أشهده".

الإشارة: اعلم أنّ البيوت التي يدخلها المريد ثلاثة: بيت الشّريعة وبيت الطّريقة وبيت الحقيقة، ولكلّ واحد أبواب، فمن أتى البيت من بابه دخل، ومن أتاه من غيره طُرد. ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

فبيت الشّريعة له ثلاثة أبواب:

الباب الأوّل: **التّوبة**، فإذا دخل هذا الباب، وحقّق التّوبة بأركانها وشروطها، استقبله **باب الاستقامة**، وهي: متابعة الرّسول في أقواله وأفعاله وأحواله، فإذا دخله، وحقّق الاستقامة، استقبله **باب التّقوى** بأقسامها. فإذا حقّق التّقوى ظاهرًا وباطنًا، دخل **بيت الشّريعة** المطهّرة، وتنزّه في محاسنه ومعانيه، ثمّ يروم **دخول بيت الطّريقة**، وله ثلاثة أبواب: الإخلاص وهو إفراد العمل لله من غير حرف ولا حظّ، فإذا حقّق الإخلاص استقبله **باب التّخلية** وهي التّطهير من العيوب الباطنة، وهي لا تنحصر، لكن من ظفر بالشّيخ أطلعه عليها، وعلّمه أوديتها، فإذا حقّق التّخلية استقبله **باب التّحلية**، وهي: الاتّصاف بأنواع الفضائل كالصّبر والحلم والصّدق والطّمأنينة والسّخاء والإيثار، وغير ذلك من أنواع الكمالات. **فإذا حقّق الإخلاص والتّخلية والتّحلية فقد حقّق بيت الطّريقة**، ثمّ يستقبله **بيت الحقيقة:**

فأوّل ما يقرع **باب المراقبة**، وهي: حفظ القلب والسرّ من الخواطر الرديّة، فإذا تطهّر القلب من الخواطر السّاكنة، استشرف على **باب المشاهدة**، وهي: محو الرّسوم في مشاهدة أنوار الحيّ القيّوم، أو تلطيف الأواني عند ظهور المعاني، فإذا دخل باب المشاهدة، وسكن فيها، استقبله **باب المعرفة**، وهي محلّ الرّسوخ والتّمكين، وهي الغاية والمنتهى، **فبيت الحقيقة هو مسجد الحضرة الرّبانيّة.** وما بقي بعدها إلا التّرقّي في المقامات، وزيادة المعارف والكشوفات أبدًا سرمدًا، منحنا الله من ذلك حظًّا وافرًا بمنّه وكرمه.

اتّقوا الله أي اتّخذوه وقاية من كلّ ما تحذرون. ولفظ الجلالة **"الله"** يتضمّن كلّ اسم إلهيّ، فينبغي أن يتّقي منه ويتّخذه وقاية. فإنّه ما من اسم من الأسماء الإلهيّة إلّا والتّعلّق به يقتضي أن تتّقي منه وأن تتّقي به. وما تُتّقى أسماؤه إلّا بأسمائه والاسم الذي يجمعهما هو الله، فأُمرنا بتقوى الله تعالى.

في الإعجاز العلميّ

قال سبحانه: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[1]

الأهِلَّة ودلالات علميّة دعويّة:

القمر هو أقرب الأجرام السماويّة إلينا، ويدور حول الأرض في مدار بيضاويّ. هذه الحركة المنتظمة علّمنا إيّاها الله سبحانه وتعالى منذ الأزل، وجعلها وسيلة لتحديد الأزمنة والأيّام والشهور، كما جاء في القرآن الكريم.

الدوران والتوقيت:

القمر يمرّ بمراحل مختلفة تبدأ من الهلال، الذي يظهر خفيفًا ثمّ يكبر حتّى يصبح بدرًا، ليبدأ في التناقص حتّى يعود كما كان. هذا التغيير الدقيق بين المحاق (حيث لا يرى القمر) ثمّ الهلال ثمّ البدر ثمّ العودة إلى المحاق يعدّ من إعجاز الله في خلقه. ففي كلّ مرحلة هناك إشارات علميّة وتربويّة للمؤمنين، ففيها دليل على قدرة الله ودقّة خلقه.

التأمّل في مراحل القمر

- **الهلال**: عندما يظهر القمر لأوّل مرّة، يكون دقيقًا مثل الخيط الرفيع، وهو بداية الشهر القمريّ.
- **الربيع الأوّل**: يظهر ربع القمر.
- **الأحدب الأوّل**: القمر مرئيّ، ولكنّه ليس بدرًا بعد.
- **البدر الكامل**: عندما تكون الأرض بين الشمس والقمر، فيكتمل نور القمر ويصبح بدرًا.
- **الأحدب الثاني والتربيع الثاني**: القمر يبدأ في التناقص تدريجيًّا.
- **المحاق**: نهاية الدورة، حيث يصبح القمر غير مرئيّ تمامًا.

الدقّة والإعجاز:

العرب استخدموا القمر في تحديد المواقيت الدقيقة للشهور والسنة، خاصّة لشهر الحجّ والصيام. وقد ورد في القرآن الكريم تفريق دقيق بين "الضوء" و"النور" كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾، وهو ما يعكس فهمًا علميًّا متقدّمًا، حيث إنّ الضوء ينبثق من جسم مضيء، أمّا النور فهو انعكاس للضوء. هذه المفاهيم كانت غائبة عن كثير من العلماء حتّى العصر الحديث.

العبرة الدعويّة:

إدراك هذا النظام الدقيق في حركة القمر ليس فقط دراسة فلكيّة، بل دعوة للتفكّر في عظمة الله سبحانه وتعالى، ودعوة للانتباه إلى أهمّيّة متابعة المواقيت في حياتنا اليوميّة، وفي عباداتنا. فقد علّمنا القرآن الكريم من خلال هذه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

الآيات أن نضبط أوقاتنا، ونعيش مع معجزات الله حولنا، سواء في تحديد شهر رمضان، أو الحجّ، أو مواقيت الصّلاة. فالحديث عن القمر يفتح أمامنا أبوابًا للتفكّر في قدرة الله، ويعلّمنا الدقّة في تحديد الأوقات في حياتنا اليوميّة، وفي عباداتنا الخاصّة.

ختامًا: القمر ليس مجرّد جسم في السماء، بل هو نظام دقيق في حركة، وشاهد على عظمة الخالق، يحدّد لنا أوقات العبادة، ويعلّمنا كيف نضبط حياتنا وفقًا لأوامر الله تعالى.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ الله»[1].

(١) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن ابن عمر، حديث رقم: ٨٨٨، كتاب: الأدعية، باب: ذكر ما يقول المرء إذا رأى الهلال أوّل ما يراه، الحديث صحيح لغيره.